الباب السادس

من العام الثامن إلى انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى

العام الثامن من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غزوة مُؤْتة .

[٢] غزوة ذات السلاسل .

[٣] فتح مكة .

[٤] غزوة حنين .

العام التاسع من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غزوة تبوك .

[٢] عام الوفود .

العام العاشر من الهجرة النبوية المشرفة

❁ حجة الوداع .

العام الحادي عشر من الهجرة النبوية المشرفة

[١] بعث جيش أسامة إلى الشام .

[٢] مرض رسول الله ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى .

[٣] موقف عمر بن الخطاب .

[٤] موقف أبي بكر الصديق .

[٥] التجهيز وتوديع الجسد الشريف .

obeikandl.com

obeikandl.com

العـــام الثامـــن
من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غـــزوة مُـــؤتة : (١)

هذه المعركة أكبر لقاء مثخن، وأعظم حرب دامية، خاضها المسلمون في حياة رسول الله ﷺ ، وهي مقدمة وتمهيد لفتوح بلدان النصارى. وقعت في جمادي الاولى سنة ٨ هـ. ولم يخرج النَّبي ﷺ في هذه الغزوة، لذلك فهي في الحقيقة ليست بغزوة، وإنما هي سرية، ولكن عامة علماء السيرة اطلقوا عليها اسم غزوة، لكثرة عدد المسلمين فيها، ولما كان لها من أهمية بالغة.

سبب الغزوة:

وسبب هذه الغزوة هو قتل الحارث بن عمير الأزردى، رسول رسول الله ﷺ إلى أمير بصرى، وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم التي تعادل أو تزيد على إعلان الحرب. فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ ، فجهز إليهم جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وأمرهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير، فيدعو من هناك إلى الإسلام فإن أجابوا، قبلوا منهم وكفوا عنهم، وإن لم يستجيبوا استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم. وأمّر عليهم زيد بن حارثة وقال: **"إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة، وودعهم رسول الله ﷺ موجهاً وناصحاً لهم قائلا: "اغزوا بسم الله ،قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصوامع معتزلين، فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولاشيخاً فانياً، ولا تتقطعوا شجراً، ولا تهدموا بناءً "** .

---

(١) مؤتة: قرية بأدنى بلقاء الشام بينهما وبين المقدس مرحلتان.

جيش المسلمين وجيش المشركين:

عندما وصل المسلمون "معانا"، وهو حصن كبير من أرض الشام، وصلهم نبأ وصول "هرقل"، ملك الروم في ناحية البلقاء، في مائة ألف من الروم ومائة ألف أخرى من نصارى العرب من لخم وجذام وقبائل قضاعة من بهراء وبلى وبلقين.

بداية القتال وستشهاد الأمراء الثلاثة:

التقى المسلمون بأعدائهم، عند قرية "مشارف"، وصار المسلمون في قرية مؤتة، فلما اقتتلوا أستشهد زيد بن حارثة، ثم جعفر الذي قطعت يمينه ثم يساره فاحتضن الراية بعضديه فقتل وعمره ٣٣ عاماً، فكان جزاؤه عند ربه سبحانه وتعالى، أن أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء. ثم أخذ الراية بعده، عبد الله بن رواحه فاستشهد.

الراية إلى سيف من سيوف الله:

بعد استشهاد عبد الله بن رواحه، أخذ الراية ثابت بن أرقم من بني العجلان وقال: " يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم". قالوا: أنت. قال: لا، ندفع الراية إلى خالد بن الوليد. وقال ثابت بن أرقم لخالد: أنت أعلم بالقتال منى، فأخذها خالد، وانحاز بالمسلمين، وعندما أقبل الليل، انتهز خالد الفرصة، وغير نظام الجيش، فجعل المقدمة ساقة، والساقة مقدمة، والميمنة ميسرة، والميسرة ميمنة، وصف صفاً طويلاً وراء الجيش.

فلما أصبحوا، أنكرت الروم ما كانوا يعرفون من رايات المسلمين، وسمعوا الجلبة وأصوات الأسلحة، فظنوا أن المسلمين جاءهم مدد، فأصابهم الرعب. وجعل خالد يداور بأصحابه ويتراجع بهم، في مهارة وحذق، حتى ظن الروم أنه يريد أن يستدرجهم إلى الصحراء، فلم يتبعوه. وظل خالد يناوش جموع العدو حتى أفلت بجيشه، وانتهى به إلى هذه النهاية المأمونة.

إخبار النبي ﷺ بالواقعة:

علم رسول الله ﷺ بوحي من ربه ما جرى، فقام على المنبر وقال: "أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحه فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله،حتى فتح الله عليهم. ومن يومئذ لقب خالد بن الوليد بسيف الله المسلول.

عودة الجيش:

خرج رسول الله ﷺ والمسلمون، لملاقاة الجيش عند عودته، فقال لهم البعض: يافرار، فررتم في سبيل الله، وأخذوا يحثون عليهم التراب. فقال رسول الله ﷺ: ليسوا بالفرار، ولكنهم الكُرّار، إن شاء الله.

في بيت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه:

أتى رسول الله ﷺ بيت جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه. فقال لزوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها، ائتني ببني جعفر، فأخذهم وشمهم وذرفت عيناه. فقالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها: يارسول الله، أبلغك عن جعفر شئ ؟، قال ﷺ: نعم، أصيب هذا اليوم. ثم عاد رسول الله ﷺ إلى أهله، وأمرهم أن يصنعوا لآل جعفر طعاماً، لأنهم شغلوا بأمر صاحبهم.

الدروس المستفادة من غزوة مؤته:

[١] ضرورة الحفاظ على هيبة الإسلام.

[٢] جواز أن يعلق الخليفة أو الحاكم إمارة أحد الناس على شرط، وأن يولي المسلمين عدة أمراء بالترتيب.

[٣] مشروعية اجتهاد المسلمين في اختيار أميرهم.

[٤] شفقة رسول الله ﷺ بأصحابه.

[٥] فضيلة الأمراء الثلاثة؛ زيد وجعفر وابن رواحة وفضل خالد بن الوليد ومنحه لقب سيف الله.

[٦] تجلى بعض آيات النبوة المحمدية في إخباره ﷺ أهل المدينة عن سير المعركة.

[٧] مشروعية صنع الطعام لأهل الميت. وأن أول طعام صنع لهذا الغرض ما صنعه رسول الله ﷺ لآل جعفر، فأصبح ذلك سُنَّة قولية عملية.

[٢] غزوة ذات السلاسل:

سميت بهذا الاسم لأن المشركين ارتبط بعضهم ببعض بالسلاسل مخافة الفرار. وقيل سميت باسم ماء بأرض جذام يسمى "السلسل". وتقع خلف وادي القرى، وبينها وبين المدينه مسيره عشرة أيام.

سبب السرية:

علم رسول الله ﷺ أن قضاعة، يتجمعون في ديارهم وراء القرى ليغيروا على المدينة، فأرسل إليهم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلاثمائة من خيار المسلمين، في جمادي الآخره سنة ثمان. وسبب اختيار عمرو بن العاص رضي الله عنه أن أمه من "بلى" وفي هذا تأليف للقوم.

فلما رأى عمرو بن العاص رضي الله عنه كثرة عددهم، أرسل إلى رسول الله ﷺ يطلب منه المدد. فبعث رسول الله ﷺ إليه، أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه في جماعة من المهاجرين والأنصار، فيهم أبوبكر وعمر رضي الله عنهما وأمّر عليهم أباعبيدة بن الجراح وقال له: إذا أنت قدمت على صاحبك، فتطاوعا ولا تختلفا". وفي هذه السرية انتصر المسلمون. وأيضاً في هذه السرية احتلم عمرو بن العاص رضي الله عنه فلم يغتسل خوفاً من الموت، لشدة البرد، وإنما تيمم وصلى. ولما سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك سكت، فأقر بذلك عمرو بن العاص رضي الله عنه على فعله.

[٣] فتح مكة :

قريش تنقض العهد الذي بينها وبين رسول الله ﷺ :

ورد في صلح الحديبية أن من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. وتعتبر القبيلة التي تنضم إلى أي الفريقين جزءاً من ذلك الفريق، فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل، يعتبر عدواناً على ذلك الفريق. ثم حدث أن ثارت بنو بكر على خزاعة، فأعانت قريش بني بكر بالسلاح والدواب، ولجأت خزاعة إلى الحرم، ولكن بني بكر لم تحترم الحرم، وقاتلت خزاعة وقتلت منهم، عندئذ خرج عمرو بن سالم الخزاعي، حتى قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة ثم أنشد قصيدة جاء فيها:

هم بيَّتونا بالوتير هُجداً وقتلونا رُكّعاً وسُجّداً

فقال رسول الله ﷺ : "**نصرت ياعمرو**"، وأمر بالجهاد. والدفاع عن الحق، وعزم أن ينقي البيت الحرام من الوثنية، وأن يطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود.

أبو سفيان يحاول أن يجدد العهد:

حاول أبو سفيان أن يجدد العهد، فلم يجد عوناً على ذلك، بل إن ابنته أم حبيبة، زوجة رسول الله ﷺ ، بلغت كراهيتها للشرك، بأن طوت فراش رسول الله ﷺ حتى لا يجلس عليه أبوها. فلما سألها: أراغبة بي عن الفراش، أم رغبت بالفراش عني؟ قالت رضي الله عنها : هو فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس. فانصرف غضباً، وقال: والله، لقد أصابك من بعدي شر ـ وهذا زعمه الباطل ـ وإنما هى على الحق الذي آثرته على كل شيء .

حاطب بن أبي بلتعة يكتب لقريش:

حدث أن امرأة من "مزينة" جاءت إلى المدينة، تسأل النَّبي ﷺ أن يعطيها

شيئاً، فجمع لها مالاً ومتاعاً ثم رجعت إلى مكة، فحمّلها حاطب بن أبي بلتعة كتاباً، لتوصله إلى قريش، فتخبرهم بما أجمع عليه رسول الله ﷺ من السير إليهم، فوضعت الكتاب في رأسها وخرجت.

فأوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ بما صنع حاطب، فبعث عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوام في طلبها. روى البخاري بسنده عن عليّ رضي الله عنه قال: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: "انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ [١]، فان بها ظعينه [٢] ومعها كتاب فخذوه منها. فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا لها: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي كتاب. فقلنا لتخرجنّ الكتاب،أو لنلقينّ الثياب. فأخرجته عن عقاصها [٣]. فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: "من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ : "ياحاطب ما هذا؟ ، فقال حاطب: يارسول الله، لاتعجل عليّ ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة، يحمون بها أهلهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، ولم أفعل مافعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاء بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ : "**قد صدقكم**". قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ : "**إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله يكون قد اطلع على من شهد بدراً، فقال: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**"، ونزل قول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ**

(١) موضع بقرب حمراء الأسد بين مكة والمدينة على اثنى عشر ميلاً.

(٢) ظعينة: امراه.

(٣) هو الشعر المعقوص شبه المضفر.

إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري ومسلم: قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني أضرب عنقه. فقال ﷺ : "**ياعمر وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنه**" . فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم.

ولعل هذا الحديث يشير إلى النظر في "حكم الجاسوس" ومذهب الشافعي وطائفة أنه يعزر ولايجوز قتله، ويرى بعض المالكية أنه يقتل إلا إذا تاب، ويرى البعض أنه يقتل وإن تاب، وقال مالك: يجتهد فيه الإمام (١) .

الجيش الإسلامي يتحرك نحو مكة :

توجه رسول الله ﷺ بعشرة آلاف مسلم، يوم الأربعاء بعد العصر، لعشر ليال خلون من شهر رمضان، سنة ثمان من الهجرة، حتى إذا بلغ " الكديد (٢) " أخذ إناء فشرب منه، ثم قال: "يأيها الناس من قبل الرخصة، فإن رسول الله ﷺ قبلها، ومن صام فإن رسول الله قد صام" .

وعسكر الجيش بالقرب من مكة فى "ممر الظهران" .ونظر العباس إلى قوة الجيش وقال: ياهلاك قريش، إن باغتها رسول الله ﷺ ، ثم خرج على بغلة رسول الله ﷺ لعله يرى رجلاً أو حطاباً، يدخل مكة لحاجة، فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيأتوه، ويستأمنوه. فإذا به يسمع صوت أبي سفيان يتحدث مع جماعة وقد خرجوا يتحسسون الأخبار.

أبو سفيان في جوار العباس:

نصح العباس أبو سفيان أن يركب معه، حتى يستأمن له رسول الله ﷺ، وذكر

(١) شرح مسلم للنووى.
(٢) الكديد : موضع فى الطريق إلى مكة بين قديد وعسفان.

له أن رسول الله ﷺ آتيهم في عشرة آلاف. فوافق أبو سفيان، وأردفه العباس خلفه، على بغلة رسول الله ﷺ. وأخذ أبو سفيان يتأمل الكتائب، التي تمر واحدة إثر الأخرى، وهو في دهشة وذهول مما يرى، ثم التفت وهو يقول للعباس: يا أبا الفضل،لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً،فقال العباس: ويحك، إنه ليس بملك، ولكنها النبوه. قال أبو سفيان: نعم. وعندما نزلا، لحق بهما عمر رضي الله عنه، وقال: يارسول الله، هذا عدو الله، أبو سفيان، قد أمكننا الله منه، من غير حرب، ولا حلف بيننا وبينه ولا عهد. فقال العباس: يارسول الله، إنه في جوارى. فقال له ﷺ: هو في جوارك،فاذهب به إلى رحلك، فإذا أصبحت، فأتني به. "فذهب به العباس إلى رحله، وفي الصباح ذهب به إلى رسول الله ﷺ. فقال له ﷺ: "أما آن لك يا أبا سفيان، أن تشهد ألا إله إلا الله؟، فقال أبو سفيان أما والله، لو كنت أعلم أن معه إلهاً آخر، لطلبت من ذلك الإله أن ينصرنا عليك. فقال له ﷺ: "أما آن لك يا أبا سفيان أن تعلم، أني رسول الله؟ ، فقال أبو سفيان: أما هذه، ففي النفس منها شئ. فقال العباس: قلها قبل أن تنزل رأسك عن جسمك. فقال أبو سفيان: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وهكذا أسلم أبو سفيان وحسن إسلامه. وقال العباس: "يارسول الله: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فأجعل له من الأمر شيئاً". فقال رسول الله ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن، ومن أغلق باب داره عليه فهو آمن.

الجيش الإسلامي يدخل مكة:

دخل رسول الله ﷺ مكة، وهو مطأطئٌ رأسه، تواضعاً لله تعالى، محذراً من إراقة الدماء. وعندما سمع رسول الله ﷺ سعد بن عبادة يقول: "اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة"، عزله النَّبي ﷺ وقال: اليوم يوم المرحمة: وليس يوم الملحمة. ثم كان أول عمل له ﷺ هو أن طاف بالبيت سبعاً، وعندما رأى

صور الملائكة في البيت في صورة النساء، ورأى صورة إبراهيم عليه السلام في يده الأزلام، قال: قاتلهم الله، ما شأن إبراهيم والأزلام، ماكان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. وأمر ﷺ بطمس الصور كلها، وحطم الأصنام، مردداً قول الله تعالى: ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** (٨١) ﴾ [الإسراء : ٨١] .

الطلقاء:

عندما اجتمعت قريش، قال لهم رسول الله ﷺ : "يامعشر قريش،ماترون أني فاعل بكم؟" فقالوا: "خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم". فقال ﷺ وهو يبكى: اذهبوا فأنتم الطلقاء، أقول لكم ما قاله أخي يوسف لإخوته": ﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** (٩٢) ﴾ [يوسف : ٩٢] .

بلال رضي الله عنه يؤذن على الكعبة:

أمر رسول الله ﷺ بلالاً فصعد فوق ظهر الكعبة، فأذن للصلاة ودخل الناس في دين الله أفواجاً، والحمد لله. ثم أمر رسول الله ﷺ منادياً ينادي في أهل مكة: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدع في بيته صنماً، إلا كسره".

صلاة الفتح أو صلاة الشكر:

دخل رسول الله ﷺ يومئذ دار أم هانىء بنت أبي طالب،فاغتسل وصلى ثماني ركعات في بيتها، وكان الوقت ضحى، فظنها من ظنها صلاة الضحى، وإنما هذه هي صلاة الفتح.

السرايا والبعوث لهدم الأصنام:

بعث رسول الله ﷺ سراياه، في قبائل العرب، حول مكة ليهدموا ما بها من الأصنام؛ فبعث خالد بن الوليد، في ثلاثين فارساً إلى بطن نخلة، ليهدم بيت "العُزى" وكانت أكبر أصنام قريش فهدمها. وبعث عمرو بن العاص، في جماعة

من المسلمين إلى هذيل لهدم صنمها "سواع" فهدمه. وبعث سعد بن زيد، في عشرين فارساً إلى المشلل، لهدم "مناة" صنم كلب وخزاعه فهدمه. وهكذا جعل رسول الله ﷺ يمحو كل معالم الوثنية والشرك في مكة وفيما حولها.

الدروس المستفادة من فتح مكة:

[١] بيان عاقبة نكث العهود.

[٢] تجلى النبوة المحمدية في اخباره ﷺ عن المرأة حاملة خطاب حاطب بن أبي بلتعه.

[٣] فضل أهل بدر وفضيلة العفو عن الكرام.

[٤] عدم جواز اتخاذ أعداء الله أولياء والقاء المودة إليهم.

[٥] مشروعية السفر في رمضان، وجواز الفطر والصيام على حد سواء.

[٦] مشروعية انزال الناس منازلهم.

[٧] تقرير مبدأ الجوار في الإسلام.

[٨] بيان تواضع رسول الله ﷺ لربه شكراً له على آلائه، فدخل مكة وهو خاشع لله متطامن، حتى أن لحيته لتمس رحل ناقته.

[٩] بيان العفو المحمدي إذ عفا عن قريش بعد ما كان منها.

[١٠] مشروعية صلاة الفتح أو صلاة الشكر.

[١١] مشروعية كسر الأصنام والتماثيل وابعادها عن مساجد الله تعالى.

[٤] غزوة حنين:

سبب الغزوة:

عندما رأت هوزان وثقيف [١] النصر والفتح الذي أحرزه رسول الله ﷺ

(١) هوزان وثقيف قبائل عربية. وكانت ثقيف تقيم بالطائف وهوزان تجاورها فى جبال حول الطائف. وكانت الطائف أخصب بقاع الجزيرة ومقر عبادة "اللات" أكبر أصنام العرب بعد هبل.

والمسلمون، خاصةً بعد فتح مكة، عز عليها أن تدور عليهم الدائرة، وأن ينالهم مانال قريش، من تبديل دينها، وهدم أصنامها.

فاجتمع ذوو الرأى منهم وتشاوروا فيما بينهم،واتفقوا على أن يبادروا محمداً بالغزو، قبل أن يبادرهم، وانضم إليهم قبائل كثيرة تحت قيادة مالك بن عوف النضرى، حيث أمرهم أن يأخذ كل إنسان معه أهله وماله وأولاده، وقال لهم: إذا رأيتم المسلمين، فشدوا عليهم شدة رجل واحد، وأرسلوا بعض الجواسيس، لتأتيهم بأخبار رسول الله ﷺ ولكنهم رجعوا وهم مزعورين. فقال لهم مالك ويحكم،ماشأنكم؟،قالوا: لقد رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق، فلم نملك أنفسنا حتى أصابنا ماترى. وحاول دريد بن الصمة [١] أن يثني مالك بن عوف عن أخذ الأهل والمال وقال له وهل يرد المنهزم شئ؟ ، ولكن مالك صمم على السير، وتابعه القوم فخرجوا بأموالهم وأولادهم.

رسول الله ﷺ يخرج إلى هوزان:

علم رسول الله ﷺ بما أعدت هوزان وثقيف، فبعث إليهم عيناً من عيونه، ليستطلع حقيقة الأمر. فلما تبين له صدق ما عزموا عليه، أراد أن يفاجئهم، قبل أن يفاجئوه، فخرج رسول الله ﷺ في شوال سنة ٨هـ، على رأس اثنى عشر ألفًا ؛ منهم ألفان من مكة والباقي مما حضروا معه الفتح. وقد شارك أهل مكة في هذه الغزوة وأمدوا رسول الله ﷺ بالمال والسلاح.

الكمين:

لما نزل المسلمون وادي حنين، قال أحدهم لن نغلب اليوم من قلة، ولكنهم فوجئوا بكمين، أعده مالك بن عوف، عند مضيق الوادى، وراح رماة السهام من هوزان، يُصلُون المسلمين بسهامهم، وأخذت كتائب ثقيف وهوازن، تنقض

(١) دريد بن الصمة: شيخ كبير حنكته التجارب والحروب ولكنه اسن وهرم فلم يعد قادراً على قيادة الجيوش وأصبح صاحب رأى ومشورة فقط.

عليهم من وراء الوادى، فانهزم الناس في أول الأمر، وأخذ المسلمون في التراجع منهزمين، لايلوى أحد على أحد، وثبت النَّبي ﷺ مع نفر قليل من الصحابة.

أصحاب السمرة، أصحاب سورة البقرة:

انحاز رسول الله ﷺ إلى اليمين، ونادى في القوم، إلىّ عباد الله، فإني رسول الله، وإني محمد بن عبد الله، أنا النَّبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. وهنا تظهر شجاعة رسول الله ﷺ القائد القدوه، فثبت معه أبو بكر وعمر وعليّ والعباس والفضل بن العباس وأسامة بن زيد رضي الله عنهم أجمعين،واجتمع إليه مائه من المسلمين، ثم طلب من عمه العباس ـ وكان جهوري الصوت ـ أن يصرخ فيقول: يامعشر الأنصار، ياأصحاب السمرة [1] ، ياأصحاب البيعة، ياأصحاب سورة البقرة. فأقبل الناس من كل حدب وصوب، بعد أن هزتهم نداءات رسول الله ﷺ ، فاستقبلوا المشركين، وقاتلوا، وقال رسول الله ﷺ : "**الآن حمى الوطيس**" . وشد المسلمون على المشركين، فما لبثوا حتى انتصر المسلمون عليهم، وولي المشركين الأدبار، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، وتنزلت ملائكة الله تعالى وصدق رب العزة القائل: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)** ﴾ [التوبة : ٢٥-٢٦] .

قيل للبراء بن عازب: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال البراء: أشهد أن رسول الله ﷺ لم يفر، ولقد رأيته على بغلته البيضاء، وأبو سفيان آخذ بلجامها يقودها، فلما غشيه المشركون جعل يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ثم أخذ قبضة من تراب، فرمي بها في وجوه المشركين، وقال "شاهت الوجوه" . ففروا فما بقي أحد إلا ويمسح القذي عن عينيه، ثم أنزل الله

(١) السمرة: الشجرة التى بايع الناس عندها يوم الحديبية.

تعالى السكينة بالأمن والطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين، وأنزل جنوداً لم تروها، وهي الملائكة، وعذب الذين كفروا وهزمهم، وذلك جزاء الكافرين. وفر مالك بن عوف إلى حصون الطائف، فاحتمى بها، وترك وراءه كل ماساق من الأموال، والأنعام، والنساء، والبنين. فغنم المسلمون شيئاً لايكاد يحصيه العدد. وأمر رسول الله ﷺ بالسبايا والأموال فجمعت، وسيقت كلها إلى وادى الجعرانة، وتوجه رسول الله ﷺ بأصحابه إلى الطائف حيث فر مالك بن عوف بمن نجا من رجاله ورجال ثقيف.

حصار الطائف:

لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، كانت ثقيف قد تحصنت بحصونها، وغلقت أبوابها، وتزودت بكل ما تستطيع من مئونة وسلاح، وأخذت أهبتها لحصار طويل الأمد. وأراد رسول الله ﷺ أن يستأنى بهم، لعلهم يسلمون دون قتال، لكنه ما كاد يدنو من حصونهم حتى أمطروه وابلاً من السهام، فقتلت طائفة وجرحت أخرى. فابتعد رسول الله ﷺ بأصحابه عن مرامى السهام، وضرب عسكره حول الحصن، وحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة. وفي خلال هذه المدة، جعل المسلمون يتخذون الوسائل لإخراج المشركين من حصونهم، فلم يستطيعوا؛ نصبوا عليهم المجانق، قطعوا أعنابهم، طلبوا إليهم أن يخرج رجال منهم ليبارزوهم، عيروهم بالجبن والفرار فلم يأبهوا. فرأى رسول الله ﷺ أنه لافائدة من طول الحصار، فآثر أن يرحل بأصحابه، ويترك هذا العدو إلى حين. وعند منصرفهم من الحصار، قال رجل: يارسول الله، "ادع على ثقيف". فقال رسول الله ﷺ: "**اللهم أهد ثقيفاً وائت بهم**".

غنائم حنين:

لما رحل رسول الله ﷺ من الطائف، أتى الجعرانة حيث السبايا والأموال، جاءه وفد من هوازن بالقرب من مكة يعلن اسلامه، وقالوا له: يارسول الله، قد أصابنا

من الأمر ما تعلم، فامنن علينا منّ الله عليك. فخيرهم رسول الله ﷺ قائلاً لهم: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم، أم أموالكم؟ " فقالوا: "نساؤنا وأبناؤنا أحب إلينا من أموالنا". فقال: "ماكان لي ولبني عبد المطلب من نسائكم وأبنائكم فهو لكم، وإذا صلينا الظهر بالناس، فسلوني أمركم". فلما صلى ﷺ، سألوه في أمرهم، فأمر رسول الله ﷺ برد نسائهم وأبنائهم. كما قسم ما أفاءه الله عليه من الأموال، على، المقاتلين من المسلمين والمؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئاً، فوجدوا وجداً شديداً. فجاءه سعد بن عبادة وهو أنصارى فقال: يارسول الله، إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا في أنفسهم. فقال النَّبي ﷺ: إذن فاجمعهم إلىّ، فخرج سعد ونادى على الأنصار: أن ائتوا رسول الله ﷺ. فاتاهم رسول الله ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "يامعشر الأنصار، بلغني أنكم تجدون علىّ في أنفسكم: ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بى، وعالة فأغناكم الله بى، وأعداء فألف الله بين قلوبكم". فقالوا: بلى يارسول الله، ولله ولرسوله المن والفضل. فقال لهم: "ألا تجيبوني يامعشر الأنصار"؟، فقالوا: "بماذا نجيبك يارسول الله؟ ولله ولرسوله المن والفضل.

فقال رسول الله ﷺ: "أما والله، لوشئتم لقلتم فلصدقتم وصُدقْتُم، أتيتنا مكذباً فصدقناك، وجئتنا مخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فأغنيناك. أوجدتم علىّ يامعشر الأنصار، في أنفسكم لشئ من الدنيا، أعطيته لقوم أتألف به قلوبهم، ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يرجع الناس بالشاة والبعير، وترجعون أنتم برسول الله؟، فوالذي نفس محمد بيده، لولا الهجرة، لكنت امرءا من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً، وسلكت الأنصار شعباً، لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار". فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً. ثم انصرف رسول الله ﷺ عقب هذا خارجاً محرماً بالعمرة من

الجعرانة، ودخل مكة وأدى العمرة ثم عاد ﷺ إلى المدينة.

واستشهد من المسلمين بالطائف اثنا عشر رجلاً؛ سبعة من قريش وخمسة من الأنصار من بينهم عبد الله بن أبي بكر الصديق، مات بالمدينة متأثراً بجراحه وذلك بعد وفاة النَّبي ﷺ.

الدروس المستفادة من غزوة حنين وحصار الطائف:

[١] تقرير مبدأ أن الكثرة لا تفيد، كما تقرر في بدر أن القلة لا تضر، لأن النصر من عند الله.

[٢] جواز بث العيون بين الأعداء، لمعرفة شأنهم وأخبارهم.

[٣] جواز أن يستعير الإمام أسلحة من المشركين لقتال أعداء المسلمين.

[٤] الجهاد لا يعني الحقد على الكافرين، وإنما هو وسيلة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

[٥] جواز أن يزيد الإمام في عطاء من يتألف قلوبهم على الإسلام، بالقدر الذي تدعو إليه المصلحة.

[٦] فضل الأنصار ومدي محبة رسول الله ﷺ لهم.

ملخص أهم أحداث العام الثامن من الهجرة النبوية المشرفة:

- غزوة مؤتة.
- غزوة ذات السلاسل.
- فتح مكة.
- غزوة حنين، وحصار الطائف.
- ولد إبراهيم ابن النَّبي ﷺ من جاريته مارية القبطية.

العـــام التاســـع
من الهجرة النبويـــة المشرفـــة

[١] غزوة تبـــوك:

تعتبر غزوة تبوك من أعظم مغازي رسول الله ﷺ ، وذلك لصعوبة الظرف الذي وقعت فيه، إذ هو ظرف جديد، ومجاعة، وشدة حر، وبعد مكان، وشقة، وكثرة عدو، وقوة، ولم يكن هناك نفير عام إلا في هذه الغزوة. وسمى جيشها بجيش العسرة، إذ بلغت العسرة يومها أشدها.

سبب الغزوة:

سبب هذه الغزوة أنه وصل إلى علم رسول الله ﷺ أن الروم جمعت جموعها، ووصلت إلى أرض البلقاء، بجيش قوامه أربعين ألف مقاتل، وكان عدد المسلمين ثلاثين ألف تقريباً. وكان الوقت شديد القيظ والحرارة، وكان الناس يحبون أن يقيموا في ثمارهم، حيث طابت. وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغزو غزوة وَرّى بغيرها ـ أي كنىَ بغيرها ـ أخذاً في الحيطة والحذر، لأن الحرب خدعة، إلا هذه الغزوة، فإنه ﷺ حددها، وبينها، لبعد المسافة والمشقة وقوة العدو. فقد كانت هذه الغزوة ثقيلة على النفس، فيها أقصى مظاهر الإبتلاء والإمتحان، فأخذ نفاق المنافقين يعلن عن نفسه، على حين أخذ الإيمان الصادق يعلن عن نفسه في صدور الصحابة.

صور من النفاق:

تأخر الجد بن قيس من بني سلمة، مدعياً أنه يخشى ألا يصبر إذا رأى نساء بني الأصفر، وهم الروم، فاستأذن في التخلف، وكان متهماً بالنفاق، فلما استأذن

في البقاء، على الرغم من أنه كان قوياً وغنياً، أذن له رسول الله ﷺ وأعرض عنه، فنزل في شأنه قول الله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ** (٤٩) ﴾ [التوبة : ٤٩] .

كما حاول بعض المنافقين أن يثبطوا من عزيمة المسلمين قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فنزل قول الله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ** ﴾ [التوبة : ٨١] .

صور من الإيمان الصادق:

أما المؤمنون الصادقون،فأقبلوا إلى رسول الله ﷺ من كل صوب، يتسابقون في البذل والإنفاق، عندما حثهم رسول الله ﷺ وأعلن عليهم، أن من جهز جيش العسرة فله الجنة، حتى أن أبا بكرالصديق رضي الله عنه أتى بكل ما يملك وأربعة آلاف درهم، فلما سأله رسول الله ﷺ :"هل أبقيت لأهلك شيئاً"؟، قال أبو بكر رضي الله عنه : "أبقيت لهم الله ورسوله" .

وجاء سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بثلاثمائة بعير وألف دينار، ووضعها في حجر النَّبي ﷺ ، فيسر رسول الله ﷺ بها، ويدخل يده فيها، ويقبلها وهو يقول: "اللهم أرض عن عثمان، فإني عنه راض" . ويقول: "ماعلى عثمان ماعمل بعد اليوم" .

وجاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد قسم ماله إلى نصفين، أتى بنصفه إلى رسول الله ﷺ ، وأمسك لأهله النصف، فقال له النَّبي ﷺ : "بارك الله لك فيما أنفقت وفيما أمسكت" .

البكَّاءون:

أما البكاءون، وهم الذين طلبوا من رسول الله ﷺ ما يحملهم عليه من الإبل، ليخرجوا معه، فقال لهم رسول الله ﷺ : "لا أجد ماأحملكم عليه"، فانصرفوا

باكين، فسموا بالبكائين، ذهبوا وأعينهم تفيض من الدمع، حزناً ألا يجدوا ما ينفقون. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على صدق إيمانهم بالله ورسوله، وحبهم ورغبتهم في الإستشهاد، ودخول الجنة، لذا فقد أعزرهم المولى عز وجل، قال تعالى: ﴿ **لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ (٩٢)** ﴾ [التوبة : ٩١-٩٢] .

أبو خثيمة:

روى الطبراني وابن اسحاق: أن أبا خثيمة رجع ـ بعد أن سار رسول الله ﷺ عدة أيام إلى تبوك ـ إلى أهله، في يوم حار، فوجد امرأتين له، في عريشين لهما، في بستان له، قد رشت كل واحدة منهما عريشًا، وبردت له الماء، وهيأت له الطعام، فلما دخل، قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه، وماصنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الشمس والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ، وامرأة حسناء، في ماله يقيم؟، ما هذا والله، بالنصف (العدل) ثم قال: والله، لاأدخل عريش واحدة منكما، حتى ألحق برسول الله ﷺ حتى أدركه، فهيأتا له زاد، ثم قدم ناضحه فارتحله، وخرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك. ولما دنا أبو خيثمة من المسلمين قالوا: هذا راكب على الطريق مقبل. فقال رسول الله ﷺ: "كن أبا خيثمة"، فقالوا: يارسول الله، والله، هو أبو خيثمة.

في الطريق إلى تبوك:

استخلف رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عُرفُطه، وخلف عليّ بن أبي طالب على أهله، فأرجف المنافقون وقالوا: استثقله، فذكر ذلك عليّ رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، فقال: "كذبوا، وإنما خلفتك لما تركت ورائى، فارجع فاخلفني

في أهلي وأهلك، أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا إنه لا نبي بعدى" . فرجع عليّ رضي الله عنه .كما رجع عبد الله بن أبي بجماعة من المنافقين. وسار رسول الله في طريقه إلى جلاد بني الأصفر.ومر رسول الله ﷺ على "حجر ثمود" (مدائن صالح) فنهى المسلمين عن الوضوء من بئر ثمود، كما نهاهم أن يعجنوا خبزهم بمائها، ولما قيل له: أن قوماً عجنوا منه، أمر أن يطرح علفاً للإبل. والسبب في هذا، أن هذه المياه كان مغضوباً على أهلها، وهم ثمود قوم صالح عليه السلام. وكان التوجيه النبوي "إذا مررتم بأرض الظلمة فأسرعوا" . وعطش الناس في هذه الغزوة عطشاً شديداً فدعا رسولُ الله ﷺ ، اللهَ سبحانه وتعالى، فأرسل عليهم سحابة، فارتوا منها وسقوا الإبل وأخذوا منها حاجتهم.

المقام المبارك:

ولما وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك، أقام بها بضع عشرة ليلة إلى عشرين، وكان يقصر الصلاة،ويجمع الظهر مع العصر،والمغرب مع العشاء؛تخفيفاً على أصحابه، ولم يتم الصلاة خلال هذه المدة،لأنه لم يحدد مدة أقامته،وإنما كان ينتظر الأمر من ربه سبحانه وتعالى.وقد استشار أصحابه في التقدم إلى الشام والمسير إلى بلاد الروم، فقال له عمر: يارسول الله، إذا كنت أُمرت بالمسير فسر، فقال رسول الله ﷺ :"لو أمرت مااستشرتكم فيه" . فقال عمر:يارسول الله، إن للروم جموعاً كثيرة، وقد دنوت منهم وأفزعتهم، لو رجعت هذه السنة حتى ترى، أو يحدث اللهُ لك في ذلك أمراً، فانصرف رسول الله ﷺ ورجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فقد نصره الله بالرعب مسيرة شهر، فلم يخرج إليه الروم، ولم يقربوا من ساحته، خوفاً وفزعاً منه ﷺ بعد أن عزموا على حربه وغزوه في عقر داره.

ولما أشرف رسول الله ﷺ على المدينة قال لأصحابه: إن بالمدينة أقواماً ماسرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم. قالوا: يارسول الله، وهم بالمدينة، قال رسول الله ﷺ : نعم، وهم بالمدينة، حبسهم العذر.

أمر الثلاثة الذين خُلِّفوا:

تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ثلاثة من صالحي المسلمين هم؛ كعب ابن مالك، شاعر من بني سلمة ومرارة بن ربيعة، ويقال ابن الربيع، من بني عمرو ابن عوف وهلال ابن أمية الواقفي. فلم يعلموا بخروج رسول الله ﷺ إلا بعد أن غادر المدينة وعسكر بثنية الوداع. فقال كل منهم، سألحق برسول الله ﷺ غداً حتى فاتهم اللحاق به. ولما افتقدهم رسول الله ﷺ بعد يوم أو اثنين وقيل له أنهم تخلفوا عجب من ذلك، وعز عليه، لأنه كان يعرف إيمانهم وفضلهم.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة، نهى الناس عن كلامهم، فاجتنبهم الناس، وأمسكوا عن كلامهم خمسين يوماً تقريباً، حتى تاب الله عليهم، وعفا عنهم، ونزل قول الله تعالى فيهم: ﴿**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨)**﴾ [التوبة : ١١٨] .

عام الوفود:

روى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، من تبوك، في شهر رمضان من السنة التاسعة. وفي ذلك الشهر، قدم عليه وفد ثقيف يرأسهم كنانة بن عبد ياليل، وأخذوا يختلفون إلى رسول الله ﷺ ويختلف إليهم، حتى دخل الإسلام أفئدتهم، واستجاب الله دعوة نبيه ﷺ : "اللهم أهد ثقيفاً وآت بهم" . وأيقن الناس أنه لاقبل لهم بحرب رسول الله ﷺ ، فجعلوا يفدون إليه، ويدخلون في دين الله أفواجاً، وحدث ذلك في العام التاسعة من الهجرة فسمى عام الوفود.

الدروس المستفادة من غزوة تبوك:

[١] أهمية الجهاد بالمال، فالجهاد ضد أعداء الإسلام ليس محصوراً على الخروج للجهاد.

[٢] بيان رفع الحرج عن ذوي الأعذار؛ كالعمى والعرج والمرض والعجز المالي .

[٣] خطورة المنافقين على الإسلام.

[٤] مشروعية أخذ الجزية من أهل الكتاب.

[٥] يكره دخول ديار الأمم التي أهلكها الله بكفرهم.

[٦] مشروعية قصر الصلاة في السفر، وجواز الجمع فيه.

[٧] مشروعية الهجر لسبب ديني.

[٨] مشروعية سجود الشكر لله تعالى.

[٩] خطورة التسويف في فعل الخير، وأنه مدخل من مداخل الشيطان.

ملخص أهم أحداث العام التاسع من الهجرة النبوية المشرفة

[١] غزوة تبوك.

[٢] بداية قدوم الوفود على رسول الله ﷺ.

[٣] حج أبو بكر الصديق بالناس.

[٤] وفاة إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً ودفنه بالبقيع.

[٥] وفاة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وغسلتها أسماء بنت عميس وصفيه بنت عبد المطلب رضي الله عنهن.

[٦] وفاة النجاشي وصلى عليه رسول الله ﷺ والمؤمنون بالمدينة صلاة الغائب.

[٧] وفاة رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول وصلى عليه رسول الله ﷺ ثم نهاه المولى عز وجل عن الصلاة على المنافقين مطلقاً قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾** ﴾ [التوبة : ٨٤].

العـــام العاشـــر
من الهجرة النبويـــة المشرفـــة

حجـة الـوداع:

أعلن النَّبي ﷺ بقصده لهذه الحجة المبرورة المشهورة، فقدم المدينة بشر كثير، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ (١) .وفي يوم السبت، لأربع بقين من ذي القعدة، تهيأ النَّبي ﷺ للرحيل، فترجل وادهن ولبس ازاره ورداءه وقلد بدنه وانطلق بعد الظهر، حتى بلغ ذي الحُليفة قبل أن يصلي العصر، فصلاها ركعتين، وبات هناك حتى أصبح. فلما أصبح قال لأصحابه: أتاني الليلة آت من ربي فقال. صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمره في حجة (٢) .

وقبل أن يصلى الظهر، اغتسل لإحرامه، ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بيدها، بذريره وطيب فيه مسك، في بدنه ورأسه حتى كان وبيص الطيب يرى مفارقه ولحيته، ثم استدامه ولم يغسله، ثم لبس ازاره ورداءه، وصلى الظهر ركعتين، ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، ثم خرج فركب القصواء، فأهل أيضاً، ثم أهل لما استقلت به على البيداء. ثم واصل سيره حتى قرب من مكة، فبات بذي طوى، ثم دخل مكة بعد أن صلى الفجر، واغتسل من صباح يوم الأحد لأربع خلون من ذي الحجة سنة ١٠هـ، وقد قضى في الطريق ثمان ليال.

فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، ولم يحل، لأنه كان قارناً قد ساق معه الهدى، فنزل بأعلى مكة، عند الحجون، وأقام هناك، ولم يعد إلى الطواف غير طواف الحج. وأمر من لم يكن معه هدى من أصحابه،

---

(١) روى ذلك فى مسلم عن جابر، باب حجة النبى ١ / ٣٩٤ .

(٢) رواه البخارى عن عمر ١ / ٢٠٧ .

أن يجعلوا إحرامهم عمرة، فيطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة،ثم يحلوا، فترددوا، فقال ﷺ : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ماأهديت، ولولا أن معي الهدي لأحللت، فحل من لم يكن معه هدى، وسمعوا وأطاعوا.

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة ـ وهو يوم التروية ـ توجه إلى مني ، فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ـ خمس صلوات ـ ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس،فأجاز حتى أتى عرفة،فوجد القبة قد ضربت بنمرة فنزل بها، حتى إذا زالت الشمس أمر بالقصواء فرحلت به، فأتى بطن الوادي ،وقد اجتمع مائة ألف وأربعة وعشرون من الناس، فقام فيهم خطيباً، وألقى هذه الخطبة الجامعة: أيها الناس، إسمعوا قولى، فإني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً (١) .

أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعه، وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وكان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله.

أيها الناس،إن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً،ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك، فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس: ﴿ **لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)** ﴾ [التوبة : ٢٥-٢٦] ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر

---

(١) ابن هشام ٢ / ٦٠٣ .

شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أيها الناس، اتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله،واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حقاً؛ لكم عليهم أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه[١] ، فإن فعلن ذلك فإضربوهن ضرباً غير مبرح،ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .فاعقلوا، أيها الناس قولى، فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به،كتاب الله وسُنَّة رسوله - ﷺ - [٢] .

أيها الناس، اسمعوا واطيعوا وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع ما أقام فيكم كتاب الله تعالى. أرقاءكم، أرقاءكم... أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، وإن جاؤوا بذنب لاتريدون أن تغفروه، فبيعوا عباد الله ولا تعذبوهم.

أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وإن المسلمين أخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم، اللهم هل بلغت؟ وستلقون ربكم، فلا ترجعوا بعدي ضلالاً، يضرب بعضم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغ، أن يكون أوعي له من بعض من سمعه. وأنتم تُسألون عنى، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت، ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس "اللهم اشهد" ثلاث مرات [٣] .

وزاد ابن ماجه: أيها الناس، أنه لا نبي بعدي ، ولا أمة بعدكم، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وحجوا بيت ربكم، وأطيعوا ولاه أمركم، تدخلون جنة ربكم [٤] .

---

(١) المقصود بذلك أن لا يأذن لأحد ممن يكرهون دخوله عليهم، وليس وطءالفراش كناية عن الزنا كما قد يتوهم.

(٢) صحيح مسلم باب حجة النبي ﷺ ١ / ٣٩٧ .

(٣) رواه مسلم ١ / ٣٩٧ .

(٤) رواه ابن ماجه رحمة للعالمين ١ / ٢٦٣ .

وكان ربيعة بن أُمية بن خلف [١] يصرخ في الناس بقول رسول الله ﷺ وهو بعرفه كي يسمعوه. وبعد أن فرغ النَّبي ﷺ من القاء الخطبة، نزل عليه قول الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣] ،وعندما سمعها أبو بكر بكى، فقيل له: ما يبكيك؟، قال: أنه ليس بعد الكمال إلا النقصان [٢] يقصد موت النَّبي ﷺ .

وبعد الخطبة أذن بلال للصلاة،ثم أقام فصلى رسول الله بالناس الظهر، ثم أقام فصلى العصر،ثم ركب ﷺ حتى أتى الموقف، ولم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، فدفع حتى أتى المزدلفة،فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر بأذان وإقامة، فلما تبين له الصبح، ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، فدعا وكبَّر وهلل، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً. فدفع من المزدلفة إلى مني ، قبل أن تطلع الشمس.

ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى وتسمى أيضاً بجمرة العقبة أو بالجمرة الأولى فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، ثم انصرف إلى المنحر، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم أعطى علياً فنحر ما بقى وهى سبع وثلاثون بدنة، تمام المائة. ثم ركب رسول الله ﷺ فافاض إلى البيت، فصلى بمكة الظهر.

وخطب رسول الله ﷺ يوم النحر العاشر من ذي الحجة حين إرتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، وعلىّ يعبر عنه، والناس بين قائم وقاعد، وأعاد في خطبته هذه، بعض ما ألقاه أمس.وأقام أيام التشريق بمنى، يؤدي المناسك، ويعلم الشرائع، ويقيم سُنن الهدي من ملة إبراهيم عليه السلام . كما أن رسول الله ﷺ خطب أيام التشريق أيضاً.

---

(١) ابن هشام ٢ / ٦٠٥ .

(٢) رواه البخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما- رحمة للعالمين ١ / ٢٦٥ .

ولما قضى مناسكه، حث الركاب إلى المدينة المطهرة، لاليأخذ حظاً من الراحة، بل ليستأنف الكفاح والكدح لله وفي سبيل الله (١) .

الدروس المستفادة من حجة الوداع:

[١] وقوع حجة الوداع، بعد تطهير الحرم من الشرك والمشركين.

[٢] من مظاهر الرحمة المحمدية الإذن بالتمتع، تيسيراً وتسهيلاً على الأمة.

[٣] مشروعية الإهلال بأي نسك من الأنساك الثلاثة؛ الإفراد والتمتع والقران.

[٤] الحرص على مخالفة اليهود والنصارى والمشركين؛ إذ كانوا يعدون الاعتمار في أشهر الحج من أفجر الفجور، لذا أمر النَّبي ﷺ أصحابه بالتحلل والاعتمار.

[٥] بيان المناسك عملياً؛ قال رسول الله ﷺ: "**حجوا كما رأيتموني أحج**".

[٦] أهمية تنفيذ وصايا رسول الله ﷺ والتي اشتملت على:

- الإعلان عن حقوق المسلم، وتحريم دمه وماله وعرضه.
- الإعلان عن تحريم الظلم والربا، وكل ماكانت الجاهلية تفخر وتتمسك به من تقاليد العصبية والقبلية، وفوارق اللغة والأنساب.
- الإعلان عن تطابق الزمن إذ ذاك مع أسماء الأشهر المقسم عليها، وذلك بعد طول تلاعب بها من العرب في الجاهلية وصدر الإسلام. أي فلا تتلاعبوا بالأشهر تقديماً وتأخيراً، ولا حج بعد اليوم إلا في هذا الزمن الذي استقر اسمه: ذو الحجة.
- الإعلان عن حقوق النساء، والأمر بالاعتراف بها وأدائها، وكذلك حقوق الزوج على زوجته.
- التوصية بالإعتصام بكتاب الله وسُنَّة نبيه ﷺ، فهما طريق الأمان من كل شقاء وضلال.
- توضيح ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الحاكم مع الرعية.

---

(١) انظر تفاصيل حجة النبى ﷺ صحيح البخارى كتاب المناسك جـ٢ . ١ . ٦٣١ . وصحيح مسلم باب حجة النبي ﷺ .

ملخص أهم أحداث العام العاشر من الهجرة النبوية المشرفة :

✿ الاستمرار في قدوم الوفود على رسول الله ﷺ .

✿ بعث رسول الله ﷺ أمراء على الصدقات؛ وذلك لإن شأن الزكاة في الدولة الإسلامية عظيم، فهي من جهة، حد فاصل بين الكفر والإيمان، وإنما سميت الزكاة صدقة، لأنها تدل على صدق إيمان مؤديها. ومن جهة أخرى، فإن مصالح الأمة قائمة على المال، والزكاة هي المورد الثابت لذلك.

✿ حجة الوداع ووصايا رسول الله ﷺ لأمته.

obeikandl.com

العام الحادي عشر
من الهجرة النبوية المشرفة

[١] بعث جيش أسامة إلى الشام:

كان كبرياء دولة الروم قد جعلها تقتل من أتباعها من يدخل دين الإسلام، حتى اضطهدت كل من حاول التدين بهذا الدين الحنيف، كما فعلت بفروة بن عمرو الجذامى، الذي كان والياً على معان من قبل الروم. ونظراً لهذه الجرأة والغطرسة،أخذ رسول الله ﷺ يجهز جيشاً كبيراً، في صفر سنة ١١هـ، وأمَّر عليه أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما ، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، يريد بذلك إرهاب الروم، وإعادة الثقة إلى قلوب العرب الضاربين على الحدود.

ولما كان أسامة بن زيد رضي الله عنهما، حديث السن، فقد تكلم الناس فيه، واستبطأوا في بعثه، ولكن رسول الله ﷺ قال: إن تطعنوا في إمارته، فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله، إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان من أحب الناس إلىّ،وإن هذا من أحب الناس إلىّ بعده"(١) يقصد بالأول زيد بن حارثه أبو أسامة ، فأقبل الناس يلتفون حول أسامة وينتظمون في جيشه.

[٢] مرض رسول الله ﷺ وانتقاله إلى الرفيق الأعلى:

اعتكف رسول الله ﷺ في رمضان، من السنة العاشرة عشرين يوماً، بينما كان لا يعتكف إلا عشرة أيام فحسب، وتدارسه جبريل القرآن مرتين، ولما أنزلت عليه سورة النصر، في أوسط أيام التشريق عرف أنه الوداع،وأنه نعيت إليه نفسه.

---

(١) صحيح البخارى باب بعث النبى ﷺ أسامة ٢ / ٦١٢ .

فخرج ﷺ في أوائل صفر سنة ١١هـ إلى أُحد، فصلى على الشهداء، كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: إني فرطكم،وإني شهيد عليكم، وإني والله، لأنظر إلى حوضي الآن،وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله، ما أخاف أن تشركوا بعدى، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها (١).

ثم خرج في منتصف الليل إلى البقيع، فاستغفر لهم،وقال السلام عليكم ياأهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه،بما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها،الآخرة شر من الأولى .وبشرهم قائلاً: إنا بكم للاحقون.

بداية المرض:

في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ١١هـ ـ وكان يوم الاثنين ـ شهد رسول الله ﷺ جنازة في البقيع، فلما رجع ـ وهو في الطريق ـ أخذه صداع في رأسه، واتقدت الحرارة، حتى أنهم كانوا يجدون سورتها فوق العصابة التي تعصب بها رأسه. وقد صلى النَّبي ﷺ بالناس وهو مريض ١١ يوماً، وجميع أيام المرض كانت ١٣ أو ١٤ يوماً.

الأسبوع الأخير:

ثقل برسول الله ﷺ المرض، فجعل يسأل أزواجه أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ ففهمن مراده، فأذنّ له أن يكون حيث شاء، فانتقل إلى بيت عائشة، يمشي بين الفضل بن العباس وعليّ بن أبي طالب،عاصباً رأسه تخط قدماه،حتى دخل بيتها،فقضى عندها آخر أسبوع في حياته .وكانت رضي الله عنها تقرأ بالمعوذات والأدعية التي حفظتها عن رسول الله ﷺ فكانت تنفث على نفسه وتمسحه بيده رجاء البركة.

قبل الوفاة بخمسة أيام:

ويوم الأربعاء، اتقدت حرارة العلة في بدنه ﷺ، فاشتد به الوجع وغمى، فقال: هريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى، حتى أخرج إلى الناس، فأعهد إليهم،

(١) متفق عليه صحيح البخارى ٢ / ٥٨٥ .

فأقعدوه في مخضب، وصبوا عليه الماء، حتى طفق يقول: "حسبكم، حسبكم". وعند ذلك أحس بخفه، فدخل المسجد ـ وهو معصوب الرأس ـ حتى جلس على المنبر، وخطب الناس، والناس مجتمعون حوله، فقال ﷺ :

" لعنة الله، على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وفي رواية "**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**" (١) . وقال: "**لا تتخذوا قبري وثناً يعبد**" (٢) .

وعرض رسول الله ﷺ نفسه للقصاص، قائلاً: "من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه". ثم نزل فصلى الظهر، ثم رجع فجلس على المنبر، وعاد قائلاً: "إن عبداً خيره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ماعنده، فاختار ما عنده". قال أبو سعيد الخدرى: فبكى أبوبكر، وقال: فديناك بأبائنا وأمهاتنا ـ فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، رسول الله ﷺ يخبر عن عبد خيره الله أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده، وهو يقول: فديناك بأبائنا وأمهاتنا. فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا (٣) .

قبل الوفاة بأربعة أيام:

في ذلك اليوم اشتد الوجع برسول الله ﷺ وأوصى بثلاث؛ أوصى بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وأوصى بإجازة الوفود بنحو ما كان يجزيهم، أما الثالث فنسيه الراوى. ولعل الوصية الإعتصام بالكتاب والسُّنَّة ، أو تنفيذ بعث أسامة، أو هي الصلاة أو ما ملكت أيمانكم. وصلى بالناس في ذلك اليوم الخميس قبل الوفاه بأربعة أيام المغرب وقرأ فيها بالمرسلات عرفاً (٤) .

---

(١) صحيح البخارى ١ / ٦٢ موطأ مالك ص ٢٦٠ .
(٢) موطأ مالك ص ٦٥ .
(٣) صحيح البخارى ١ / ٥٣٦ .
(٤) متفق عليه مشكاه المصابيح ١ / ٤٠٢ .

قبل الوفاة بيومين أو يوم:

صلى أبو بكر بالناس، تلك الأيام السابقة لوفاه النَّبي ﷺ بيومين أو يوم. وفي يوم السبت أو الأحد، وجد رسول الله ﷺ خفه في نفسه، فخرج إلى المسجد بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلى بالناس، فلما رآه أبوبكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه بأن لا يتأخر، وقال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله ﷺ ويسمع الناس التكبير (١).

قبل الوفاة بيوم:

ويوم الأحد أعتق النَّبي ﷺ غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب للمسلمين أسلحته، وفي الليل استعارت السيدة عائشة الزيت للمصباح من جارتها، وكانت درعه ﷺ مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير.

آخر يوم:

لما ارتفع ضحى يوم الإثنين دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأسر لها بشئ فبكت، ثم دعاها، فأسر لها بشئ فضحكت. قالت عائشة رضي الله عنها، فسألناها عن ذلك ـ أي فيما بعد ـ فقالت أسرّ إليّ النَّبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت، ثم أسرّ إليّ، فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت (٢).

وبشر النَّبي ﷺ فاطمة بأنها سيدة نساء العالمين (٣). ورأت فاطمة رضي الله عنها ما برسول الله ﷺ من الكرب الشديد الذي يتغشاه فقالت: واكرب أباه. فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم (٤). ثم دعا بالحسن والحسين فقبلهما، وأوصى بهما خيراً، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن. وطفق الوجع يشتد ويزيد، وقد ظهر أثر السم الذي أكله بخيبر، حتى كان يقول: ياعائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم" (٥).

---

(١) صحيح البخارى ١ / ٩٨، ٩٩.
(٢) صحيح البخارى باب مرض النبى ﷺ ٢ / ٦٤٠.
(٣) صحيح البخارى ٢ / ٦٣٨.
(٤) رحمة للعالمين ١ / ٢٨٢.
(٥) صحيح البخارى ٢ / ٦٤١.

وأوصى الناس فقال: "الصلاه، الصلاه، وما ملكت أيمانكم" وكرر ذلك مراراً .

الإحتضـار:

كانت عائشة تقول: إن من نعم الله علىّ، أن رسول الله ﷺ توفي في بيتى، وفي يومى، وبين سحري ونحري ، وأن الله قد جمع بين ريقي وريقه، عند موته. دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده سواك، فنظر إليه رسول الله ﷺ ، ففهمت عائشة رضي الله عنها أنه يحب السواك، فقالت له ﷺ : آخذه لك، فأشار برأسه أن نعم، فتناولته ولينته له، فاستن به رسول الله ﷺ كأحسن ماكان مستناً.وكان بين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يده في الماء، ويمسح بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله إن للموت سكرات [١] . وماعدا أن فرغ من السواك، حتى رفع يديه أو إصبعه، وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة وهو يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى" . ولحق بالرفيق الأعلى، إنا لله وإنا إليه راجعون . وكان هذا يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ، وقد تم لرسول الله ﷺ ثلاث وستون سنة وزادت أربعة أيام.

موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

لما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الخبر وقف ـ وقد أخرجه الخبر عن وعيه ـ يقول: إن رجالاً من المنافقين، يزعمون أن رسول الله ﷺ توفى، وأن رسول الله ﷺ مامات، لكن ذهب إلى ربه، كما ذهب موسى بن عمران، فغاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات. ووالله، ليرجعن رسول الله ﷺ فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أنه مات [٢] .

---

(١) صحيح البخارى باب مرض النبى ٢ / ٦٤٠ .
(٢) ابن هشام ٢ / ٦٥٥ .

موقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

دخل أبو بكر المسجد، فلم يكلم أحد، حتى دخل على عائشة رضي الله عنها فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبره، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتِبَتْ عليك فقد متّها. ثم خرج أبو بكر وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبي عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله، فإن الله حي لا يموت. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)**﴾ [آل عمران: ١٤٤] .قال ابن العباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النَّبي قد مات (١) .

التجهيز وتوديع الجسد الشريف:

كان من آيات نبوته ﷺ أن الصحابه ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ حينما اختلفوا، هل يُغسلون رسول الله ﷺ كما يُغسل الرجال، بأن يجرد من ثوبه؟ ، أخذهم النوم، وإذا بهاتف يقول: غسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فغُسِّلَ رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء ـ من غير أن يجرد من ثيابه ـ وكان القائمون بالغسل العباس وعلياً وابنا العباس (الفضل وقثم) وشقران مولى رسول الله ﷺ وأسامة بن زيد وأوس بن خولى، فكان العباس وابنيه يقلبونه، وأسامه وشقران يصبان الماء، وعلى

---

(١) صحيح البخارى ٢ / ٦٤٠، ٦٤١ .

يغسله، وأوس أسنده إلى صدره، ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض. واختلفوا في موضع دفنه، فقال أبو بكر: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض، فرفع أبو طلحة فراشه ﷺ الذي تُوُفِّيَ عليه، فحفر تحته، وجعل القبر لحداً.

ودخل الناس الحجرة أرسالاً عشرة فعشرة، يصلون على رسول الله ﷺ ولا يؤمهم أحداً، وصلى عليه أهل عشيرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، وصلت عليه النساء بعد الرجال، ثم صلى عليه الصبيان ثم العبيد. ومضى في ذلك يوم الثلاثاء كاملاً، حتى دخلت ليلة الأربعاء، قالت عائشة رضي الله عنها: ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل من ليلة الأربعاء [1]. فصلى الله عليه وسلم، يوم ولد، ويوم مات، ويوم يُبعث حيًّا.

ملخص أهم أحداث العام الحادي عشر من الهجرة النبوية المشرفة:

- بعث جيش أسامة إلى الشام.
- انتقال الحبيب المصطفي ـ ﷺ ـ إلى الرفيق الأعلى.

(١) ابن هشام ٢/٦٤٩ ـ ٦٦٥ تلقيح فهوم الأثر ص ٣٨-٣٩ رحمة للعالمين١/٧٧٢ ـ ٢٨٦ .